بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

مؤلف الكتاب هو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان، أبو عبد الله وأبو حامد ابن أبى الربيع المازنى القيسى الأندلسى الغرناطى، من علماء تخطيط البلدان.

ولد بغرناطة سنة ٤٧٣هـ، ورحل إلى المشرق، فمات فى دمشق سنة ٥٦٥هـ.

من كتبه: «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب» وهو هذا الكتاب و«نخبة الأذهان» و«عجائب المخلوقات».

وكتابه الذى نقدم له اليوم هو فى صفة الدنيا وسكانها وصفة عجائب البلدان، وغرائب البنيان، والبحار، وعجائب حيواناتها وما يخرج منها، وما فى جزائرها من النفط، وجمع فيه ما رآه فى أسفاره من العجائب.

وقد ظل الغرناطى لفترات طويلة تجاوزت عصره من ألمع وجوه الجغرافيين، وقد تجلى ذلك حين اعتمدت عليه بعض المؤلفات على كتاباته إلى حد بعيد.

فاستعان به فى كتاباته القزويني (ت ٦٨٢ هـ) فى كتابيه عجائب المخلوقات، وآثار البلاد وأخبار العباد، وابن الوردى (ت ٧٤٩ هـ) فى كتابه خريدة العجائب وفريدة الغرائب، والدميرى (ت ٨٠٨ هـ) فى كتابه حياة الحيوان الكبرى، والقلقشندى (ت ٨٢١ هـ) فى كتابه صبح الأعشى. والمقريزى (ت ٨٤٥ هـ) فى كتابه المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، والأبشيهى (ت ٨٥٢هـ) فى كتابه المستطرف من كل فن مستظرف، وابن إياس (ت ٩٣٠هـ) فى كتابه نشق الأزهار فى عجائب الأمصار، والمقّرى (ت ١٠٤١ هـ) فى كتابه نفح الطيب وغير هؤلاء.

هذا وقد استندت فى تحقيق نص الغرناطى إلى:

النسخة التى نشرت فى المجلة الآسيوية سنة ١٩٢٥م.

كمـا استعنت بمـخطوطة دار الكتب المصرية بـرقم ١١ ش تاريخ، تمت كتابتـها سنة ١١٧٤، تقع فى ٥٤ ورقة، كتبت بخطٍ مغربى.

هذا ولم أشر إلى الخـطأ فى إحدى النسخـتين والصواب فـى الأخرى، أو النقص فى إحداهمـا والزيادة فى الأخرى بل اتخذت النسخـتين أصلاً يكمل بعضـهما بعضًـا ويصوب بعضهما بعضًا.

وكان حـرصى على سـلامة النص أكـثر من حـرصى على التعـريف بالأعلام والـبلاد والإسراف فى الشـرح والتعليق، إذ كـان ذلك أهم ما يحـتاج إليه العلمـاء والباحـثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة.

كما قمت فى آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة التى تقرب نفعه، وتُدْنِى جَناه.

القاهرة فى رمضان ١٤٢٢هـ

نوفمبر ٢٠٠١ م

د. على عمر

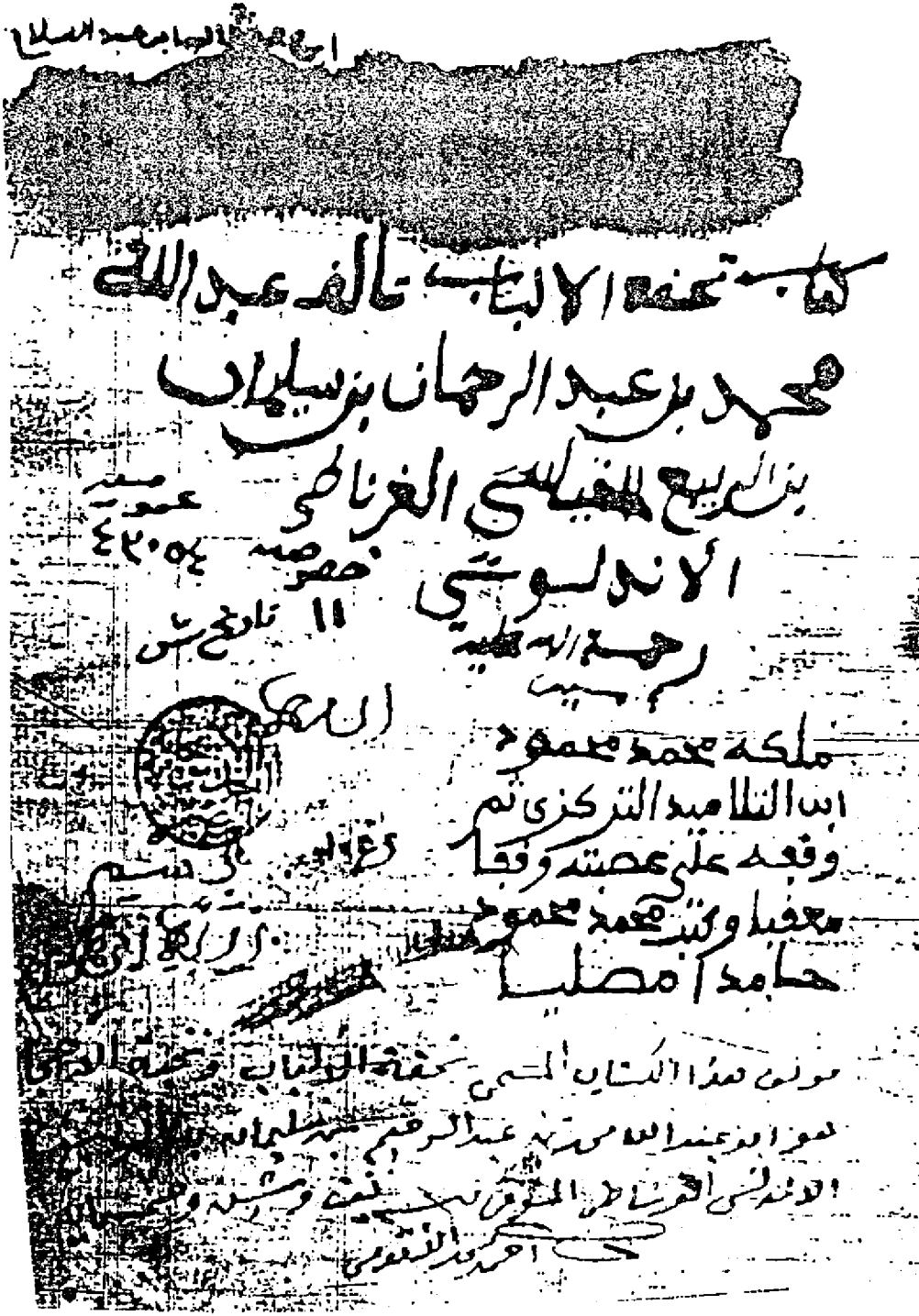

صفحة غلاف المخطوطة

الصفحة الأولى من المخطوطة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أبدع العالم علمًا على توحيده، فشهد كل موجود بوجوده، ودلت كل نعمة على كرمه وجوده، وسخر السموات بأصناف جنوده، وأمرهم بتسبيحه وتقديسه وتمجيده، وأسكن الأرض مَنْ شاء من عباده، وقسمهم بين شقيه وسعيده، وغويه ورشيده، وجعل المغرب قبلة المشرق فى ركوعه وسجوده، فكل محدث مقهور بقدرة معبوده، وأظهر فى الآفاق من عجائب المخلوقات ما تكلُّ الأوهام عن إحصائه وتقديره، وتكييفه وتحديده، ووكَّل بالتماسه من خصَّه بتأييده وتسديده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف إلهيته ووحدانيته وربوبيته علم يقين دون تقليد.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل أنبيائه ورسله وأوليائه وشهوده، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وأنصاره أئمة دينه وصناديده، صلاة دائمة بدوامه باقية ببقائه خالدة بخلوده وسلَّم وكرَّم وشرَّف وعظَّم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعد، فإن الله تعالى جلت قدرته، وشملت رحمته قد منّ على جميع العباد نعمًا ما لها من نفاد، وخص منهم بالفضائل من اصفطاه، وجعلهم مصابيح دينه ودنياه، وأجرى على أيديهم صنوف الخيرات، وأكرمهم بأنواع الكرامات، ليعين بهم الضعيف، ويغيث بهم اللهيف، ويعلم بهم الجاهل، وينبه بهم الخامل، ويغنى بهم الفقير، ويكبِّر بهم الصغير، ويعضّد بهم الذليل ويكثر بهم القليل، وينصر بهم المظلوم، ويقهر بهم الظلوم، ويتم بهم النعم، ويصرف بهم النقم ويظهر بهم الكرم، وينقذ بهم من العذاب الأليم، ويقود بهم إلى جنات النعيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقد أمَرَك الله سبحانه وتعالى أيها الإنسان بشكر من أجرى إحسانه على يديه إليك بقوله عز وجل: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (سورة لقمان: ١٤) وجميع الإحسان فى الدنيا

والآخرة من الله تعالى، ولذلك قال ﷺ: «لا يشكرُ الله من لا يشكر الناسَ»[١] وقال ﷺ: «أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة»[٢] قيل فى معنى هذا الخبَر: إنّ الله عزّ وجلّ يشفِّع المحسن يوم القيامة فى كل من أحسن إليه، ليتم نعمته عليه ويشهد لصحة هذا التأويل أن الله عز وجل، أنعم على العالم بمحمد ﷺ نبيه سيد المرسلين، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الانبياء: ١٠٧) وجعل إليه الشفاعة يوم الدين فى المذنبين من الموحدين والحمد لله رب العالمين.

ومنذ اغتربت عن المغرب الأقصى، شاهدت من الأئمة الكرام ما لا يعد ولا يحصى، وأولانى الله عز وجل على أيديهم من أنواع النعم والإحسان، ما لا يقدر على إحصائها لسان إنسان، جازاهم عنى الله أفضل الجزاء، إنه سميع الدعاء، فعال لما يشاء.

ولما وصلت إلى الموصل سنة سبع وخمسين وخمسمائة ونزلت فى جناب الشيخ الإمام الزاهد الماجد، معين الدين، ومحيى سنن سيد المرسلين، وخاتم النبيين، بتأليفه وسيلة المتعبدين، أبى حفص عمر بن محمد متوجهًا بتأليفه رضى الله تعالى وشفاعة نبيه المصطفى، محمد ﷺ: [كامل]:

جمع الوسيلة مشبه الفاروق
وسميّه فسما على العيّوقِ
باهى بها فلك البروج وأصبحت
كالشمس لا تخفى بكلّ طريقِ
حوت النبوة والشريعة كلها
وأصول علم الفقه بالتحقيقِ
الله أيَّده على تأليفها
وحباه بالإرشاد والتوفيقِ
ختمت تواليف العلوم بها كما
ختم النبوة أحمد الصديقِ

(١) أخرجه صاحب الكنز برقم ٦٤٤٠.
(٢) أخرجه صاحب الكنز برقم ١٦٠٩٦.

فشهدت من كرمه وإكرامه، وتواضعه وإنعامه لجميع المسلمين، وإطعامه للقاصدين منهم والقاطنين، وتقشُّفه فى لباسه، على زى الصحابة والتابعين، والاقتداء بالأئمة الصالحين العالمين العاملين، كأنه ملك فى زىّ مسكين، فهو فى هذا العصر معدوم القرين، جازاه الله عنى وعن جميع المؤمنين، أفضل جزاء المحسنين.

ولم يزل أيده الله وأبقاه، ومن المكاره وقاه، يحثّنى كلما كنت ألقاه، أن أجمع ما رأيته فى الأسفار، من عجائب البلدان والبحار وما صح عندى من نقلة الأخبار الثقات الأخيار، فأجبته إلى ذلك، وإن لم أكن هنالك، لعزوب الفطن، وضيق العطن، وبعد الأهل والوطن، وتشتت الأحوال، وركوب الأهوال، وطول الاغتراب، والبعد عن الأحباب، ومساورة العذاب، أسأل الكريم المجيب، أن يمنّ علىّ بالفرج القريب، ويرحم الله عبداً قال آمين.

ورأيت أن أسمّى هذا المجموع «**تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**» وأرتبه على مقدمة وأربعة أبواب.

فالمقدمة للبيان والتمهيد، والأبواب لتتمة المقصود.

الباب الأول: فى صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانّها

الباب الثانى: فى صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان

الباب الثالث: فى صفة البحار وعجائب حيواناتها وما يخرج منها من العنبر والقار وما فى جزائرها من أنواع النفط والنار

الباب الرابع: فى صفات الحفائر، والقبور، وما تضمنت من العظام إلى يوم النشور، ليكون ذلك سببًا للاعتبار، وداعيًا إلى الفرار، من دار البوار، إلى دار القرار، جعلنا الله وإياكم من الفائزين، وأدخلنا برحمته فى عباده الصالحين.

المقدمـــــة

اعلموا رحمكم الله أن الله تعـالى فرق بين العالمين فى العقول، ومنحـهم منه ما شاء من كثير وقليل، وكما فضّل الناس بعضهم على بعض فى الرزق وسعة المال، كذلك فضّل بعضهم عـلى بعض فى العقل، فعقـول الملائكة والأنبياء أكـثر من عقول جمـيع العلماء، وعقـول العلماء أكثـر من عقول جـميع العوام فى الدنيـا، وعقول العـوام أكثر من عـقول النساء، وعـقول النسـاء أكثر من عـقول الصبـيان، وبقدر هذا التـفاوت يقع الإنكار لأكـثر الحقائق من أكثـر الناس، لنقصان العقل، لأن الذى يعرف الجائز والمـستحيل يعلم أنّ كلّ مقـدور بالإضافة إلى قدرة الله تـعالى قليل فالعـاقل إذا سمع عجبًـا جائزًا استـحسنه، ولم يكذب قائله ولا هجّنه، والجاهل إذا سمع ما لم يشاهد قطع بتكذيب وتزييف ناقله، وذلك لقلة بضاعـة عقله، وضيق باع فـضله، وقد وصف الله تعالى الجـهّال بعدم العقـول بقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الفرقان: ٤٤) وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات كما قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (سورة يوسف: ١٠٥) وقد ندب إلى النظر فى عجائب الدنيا بقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٢٠) وقد قيل: [كامل]:

فى الأرض آيات فـــلا تك منـكرًا
فـــعجـــائب الأشْـيَـاء مـن آياته

[متقارب]: وفـى كل شـىء لـه شـــــاهـد
دلـيـل عـلى أنـه واحـــــــدُ

وقبل هذا البيت:

أيا عـــجبـــا كـيف يعـصى الإله
وكـــيف يجـــحـده الجـاحـــدُ

ومن شهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكـذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره

الحديد ويكسره الرصاص ويثقب اليواقيت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شىء[١].

وكذلك خرزة الباه، وخرزة الفتح، قد أودع الله عز وجل فيهما خواصا تدل على حكمة الله تعالى، فلا تكن مكذبًا بما لا تعلم وجه حكمته، فإن الله عز وجل قال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (سورة يونس: ٣٩) فهذا ما أردنا تقديمه خشية أن يسارع الإنسان إلى تكذيب ما لم يشاهد فيلحقه الذم لعدم الفهم، والله الموفق للصواب.

(١) انظر فى ذلك: عجائب المخلوقات ج١ ص ٣٣٠- ٣٣٤.